

مفهوم الإنسان عند نيتشه

The concept of man according to Nietzsche

خمري رضا¹¹ المدرسة العليا للتسيير والاقتصاد الرقمي (الجزائر)،

rkhomri@esgen.edu.dz

تاريخ النشر: 2022/01/23

تاريخ القبول: 2022/01/07

تاريخ الاستلام: 2022/01/04

ملخص:

إنّ لتصور الإنسان أهمية كبيرة في الفلسفة النيتشوية، فهو محور فلسفته الأخلاقية والغاية من ميتافيزيقاه، فصاحب كتاب "إنساني.. إنساني مفرط في إنسانيته" كانت له نظرة جديدة عن الإنسان؛ هذه النظرة التي اختلف الدارسون لفلسفة نيتشه في تحديدها نظرا لغموض أسلوبه الفلسفي واعتماده على الإستعارات والإشارات بطريقة شعرية وغير نسقية.

لذا نحاول في هذا المقال ضبط تصور الإنسان عند نيتشه و النماذج الإنسانية التي تحدّث عنها.

كلمات مفتاحية: نيتشه، الإنسان، الإنسان الأعلى، العدمية.

Abstract:

The perception of man is of great importance in nietzschean philosophy, as it is the centerpiece of moral philosophy, and the aim of metaphysics.

The author of the book "Human, All Too Human" had a new view of man.

This is the view that scholars of Nietzsche's philosophy differed in defining, due to the ambiguity of his philosophical style and his reliance on metaphors and allusions in a poetic and non-systematic way.

Therefore, in this article we try to define Nietzsche's perception of man and its models that he talked about..

Keywords: Nietzsche; man; superman; nihilism.

المؤلف المرسل: خمري رضا،

1. مقدمة:

لا يمكن معرفة نظرة نيتشه للإنسان خارج سياقه الفلسفي والأخلاقي، فلقد كانت نظريته للإنسان بالتعقيد والصعوبة أنه لا يتحدث عن الإنسان كهوية واحدة بل على عدة نماذج إنسانية، هذه النماذج تختلف مع بعضها البعض بالدرجة أحيانا وبالطبيعة أحيانا أخرى، فهو في نظريته للإنسان من الناحية الأنطولوجية لم يُهمل الجانب الأخلاقي، كما أن البعد النفسي في تحليله لمراحل تطور الإنسانية كان له الأثر الكبير في بلورة نظرة شاملة حول الإنسان ومراحل تطوره، وفي هذا المقال نحاول أن نبحث في ما هو الإنسان عند نيتشه ؟ وهل هناك نموذج بشري واحد أو عدة نماذج للبشرية ؟

إنّ نظرة نيتشه للإنسان نظرة تطورية أمرٌ لا جدال فيه، فهو يؤمن بعدم وجود ماهية أو جوهر ثابت للإنسان فهو في تغير مستمر، وألا خصوصية له عن باقي الكائنات ماعدا أنه مرحلة متقدمة من التطور لكن التطور عند نيتشه يصل إلى مرحلة أعلى أو ما سمّاه بالإنسان الأعلى فينقل الجنس البشري إلى جنس آخر مخالفا له وامتدادا طبيعيا لتطوره، لكن يرى في دراسة التطور الجنس البشري أنّ هذا الأخير عرف انتكاسة فبدل أن يتطور تقهر ومن أجل فهم هذا النظرة النيتشوية يجب شرح أصناف البشرية التي وضعها نيتشه و التي حدّدها في أربعة أصناف.

✓ الإنسان العادي: إنسان ما قبل سقراط.

✓ إنسان العدمية النافية.

✓ الإنسان المتفوق.

✓ الإنسان الأعلى

2. الإنسان العادي: إنسان ما قبل سقراط:

يتبنى نيتشه فكرة التطور عند دارون ويرى أن الإنسان تطوّر من حيوان أرق منه ليكون نوعًا جديدًا، فنجدّه يقول: " لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى على الإنسان لم يفتأ اليوم أعرق من القرود في قرديته " (نيتشه، 2014، ص31)

ويرى أنّ الإنسان في المرحلة الأولى تجاوز مرحلة حيوانيته ليصل إلى مرتبة أسمى مختلفة بالطبيعة ويرى أن أعلى درجات هذه المرحلة هي مرحلة اليونان قبل سقراط، والتي تميّزت بإعطاء أهمية للغرائز بدل العقل والنزعة الحسيّة وتمجيد الحياة وإرتباطها بالأرض بعيدًا عن كل مقولات العقل (يسري، 2007، ص331) لذا اعتبر نيتشه نفسه هو آخر تلامذة " الإله ديونيزوس " إله الغريزة والفوضى والغموض والسكر عند اليونان وذلك في مواجهته للإله " أبولو " إله العقل والنظام والوضوح والإتزان (يسري، 2007، ص133)،

ورأى أن هذه المرحلة أعلى مرحلة تطوّر فيها الجنس البشري وإنّ الإنسان أصبح سيدًا او كما سماها هو يمتلك أخلاق "السادة" التي سنتحدث عنهما فيما بعد، لكن رغم أنه من المفروض أن الإنسان يتطوّر إلى درجة أرق رأى نيتشه أنه تقهقر وأرجع ذلك إلى إنفتاح الحضارة اليونانية على الشرق الذي إعتبره شرًا وطنيًا فبرغم الانتصارات العسكرية والسياسية التي حققتها اليونان إلّا أنّ ذلك أدى حسب نيتشه إلى انتكاسات ثقافية وفلسفية فقد صاحب تلك الانتصارات إنتشار الكثير من العقائد والأفكار الشرقية التي اعتبرها أفكارا أخروية عكس الفكر اليوناني الذي كان فكرًا دنيويًا (عنيات، 2010، ص194-195) وهنا بدأ انحطاط الانسان لنصل إلى مرحلة إنسان العدمية.

3. إنسان العدمية:

يرى نيتشه أنه بدل أن يتطوّر الإنسان إلى درجة أعلى حدثت له إنتكاستين الأولى عقلية والثانية دينية، وقد سعى هذه المرحلة بالعدمية النافية، وقد رأى أن الإنتكاسة العقلية بدأت مع سقراط الذي إنتقده نيتشه بشدّة منتقدًا بذلك النزعة العقلية والانسان النظري الذي ينشغل بالبحث عن الحقيقة أكثر من إنشغاله بالحقيقة نفسها متوهما أنّ العقل يستطيع أن يكشف عن حقيقة الوجود.

وأنه ليس قادرا فقط على معرفة الوجود بل على تصحيحه أيضا (يسري، 2007، ص111) فرأى نيتشه أن انحطاط البشرية بدأ من سقراط فبينما كان أصل المعرفة هو نفع الحياة أصبحت هناك رغبة في المعرفة الخالصة، لذا اعتبر نيتشه السقراطية حركة عدائية للغرائز فهو يمقت المعادلة السقراطية الشهيرة " المعرفة = الفضيلة = السعادة " (نيتشه، 1996، ص23) فهذه المعادلة تعني أنه لاوجود لسعادة دون فضيلة ولا فضيلة دون معرفة وأنّ السعادة لا تكون إلا بمقاومة الشهوات والرغبات وأن أي إمتياز للغرائز يؤدي إلى التدهور، وأن من يعتمد على حواسه في المعرفة فإن الشقاء سيكون مصيره، فرغم أن نيتشه لا ينكر وجود العقل و دوره لكن ينكر على الفلاسفة العقلين وعلى رأسهم سقراط تمجيد العقل وإعطائه الأهمية الأولى فيذهب نيتشه إلى القول بأن الإنحلال الأخلاقي ليس هو فوضى الغرائز " بل هو طغيان العقل لذا ينكر تعريف الإنسان في المرحلة اليونانية بالإنسان العاقل بل يعرفه في كتابه " هكذا تكلم زرادشت " بأنه " وحش ذو وجنات حمراء " (نيتشه، 2007، ص87)، وأنه أكثر الحيوانات وحشية ورأى أن هذه النزعة العقلية تجعلنا أعداء الغريزة والأهواء ويستحيل معها أن نتمسك بالحياة، فتصبح الحياة حركة عمياء ، وهذا ما تؤدي إلى العدمية، فالعدمية عند نيتشه هو إنكار للحياة ورفضها، ويرى أن سقراط لم

يُعدم بعد محاكمته، بل نزعته العقلية المتطرفة أدت به إلى الانتحار عندما فقد معنى الحياة (عنيات، 2010، ص120)، لكن يرى أن العدمية التي أخذت طابعاً عقلياً والتي نشأت مع سقراط و أصحاب النزعة العقلية أخذت منحى آخر وهو المنحى الديني مع ظهور المسيحية.

فالمسيحية عند نيتشه ماهي إلا إمتداداً للسقراطية و اليهودية ورغم إنتقاده لجميع تيارات المسيحية إلا أن يقسّمها تاريخياً إلى ثلاثة مراحل المسيحية المتقدمة ويربطها بالمسيح وأتباعه الأولين والتي كانت في نظره عاجزة في بداياتها لعدم اعتمادها على الثقافة والجدل ولم يكن لها أدنى سبب لتنكر العالم لأنها لم تكن تهتم بالعالم أصلاً، بل كانت الحقيقة الرهبانية عنها هي الأنوار الداخلية والاحساسات بالسعادة وقبول الذات، وبالتالي بما أن المشاعر كانت كلها باطنية فقد كانت عاجزة على أن تجادل أو تناقض وتعارض المذاهب الأخرى.

أما المرحلة الثانية كما سماها المسيحية المتأخرة ويربطها بالقدّيس بولس وينسب إليها الكنيسة الرسمية (الكنيسة الكاثوليكية) هي التي تكفّلت بقضية عدم الاهتمام بالحياة مؤسّسة لفكرة " خلود النفس " ، تلك الفكرة التي اعتبرها نيتشه أخطر مؤامرة ضد الفكر الوثني القديم وضد الإنسانية الارستقراطية (الشيخ، 2008، ص433) وهذا ما ينكره نيتشه.

فنيشه لا يؤمن بثنائية الروح والجسد، بل يؤمن بالجسد ويتمسك بالحياة في الأرض ويرى أن هذه المسيحية المتأخرة جعلت إنسان العدمية زاهد في الحياة وفاقدا للإرادة، ويرى أن الكنيسة الكاثوليكية لما وصلت إلى درجة التقهقر لحد الاندثار في القرن السادس عشر أعاد لوثر ترميم الكنيسة وتثبيتها من جديد بما سعي فيما بعد بالإصلاح الديني وظهور البروتستانتية فيقول نيتشه: " لوثر ذلك الراهب الفظيع الذي بفضاعته إنقض على الكنيسة وبالتالي أعاد تثبيتها (نيتشه، 2006، ص45)، لذا نيتشه نجده يرفض المسيحية بجميع مراحلها

وتياراتها ويرى أنها سبباً في انحطاط البشرية ووجود إنسان العدمية ولتبرير نيتشه إنتقاده للمسيحية يبحث عن أصول الأخلاق التي تنادي بها ودوافعها السيكلولوجية، فنيتشه يرى أن الحق هو مصدر القيم المسيحية وما مفهوم " الجحيم الأبدي " إلا تعبير عن الحقد الدفين في النفوس كربة في الإنتقام والتشفي من أولئك الذين أذلوهم وعدّبوهم في الأرض، فالجحيم حسب نيتشه هو دليل على الحقد والعجز ويستدل بقول توما الأكويني: " حتى يزداد الأبرار المؤمنون غبطة في نعيمهم ويشكروا الله كثيراً على هذا النعيم، فهو يمكنهم من التطلع إلى آلام الكافرين " (نيتشه، 1981، ص41). فهو يرى أن المسيحية هي تجسيد لأخلاق العبيد الذين عجزوا على الانتقام من سادتهم في الأرض فقاموا بقلب القيم الارستقراطية التي تؤمن بالقوة والمغامرة والرقص، أي تؤمن بالحياة على قيم تقوم على أساس تحقير الحياة والخط من شأنها.

ويرى أن هذه القيم المسيحية وصلت لأدنى قيم الانحطاط في الزهد المتمثل في القيم الثلاث " الفقر، التواضع، العفة " وكلها قيما تقف عائقاً في سبيل تنمية الحياة وتقويتها.

فنييتشه يرى أن حياة التنسك تنطوي على تناقض داخلي ألا وهو " الحياة ضد الحياة " لذا يقول: " مازال أعظم الناس يحنون أمام القديس إجلالاً...إنهم يظنون فيه وخلف علامة إستفهام مظهره الواهن والبائس إن صحّ التعبير-القوة المتفوقة التي أرادت أن تختبر نفسها -، يظنون فيه شدة إرادته والعكس هو الصحيح (نيتشه، 2003، ص85) لذا نجد أن نيتشه يرفض المسيحية لعدة عوامل:

1/- رفض المسيحية الارتباط بالأرض فنييتشه يرى أن المسيحية ترفض الوجود الأرضي وتعتبره جسراً لنوع آخر من الوجود وبالتالي فهي تنكر كل سعادة حقيقية في الأرض.

2/- رفض المسيحية للحياة والجسد فهو يرى أنها تدعو لتحقير الحياة والخط من قيمتها ولا يتم ذلك إلا بتحقير الجسد وغرائزه والميل إلى محاسبة الذات ومعاقبها وبالتالي تعذيبها فحسب نيتشه تصل الحياة إلى نهايتها حين تبدأ مملكة الإله حيث يقول: " إن المسيحية قد أعطت إيروس (إله الحب عند الاغريق) السّم البشرية فلم يمت ولكنه تحوّل إلى رذيلة " (يسري، 1990، ص230) وهنا يقصد نيتشه أنّ المسيحية حوّلت الغرائز الجسدية إلى رذائل وحوّلت الإنسان إلى جنس أدنى منه وهو إنسان العدمية فنيّشه يعتبر أن المسيحية هي سبب انحطاط الجنس البشري، فالأخلاق المسيحية هي أخلاق العدمية حوّلت الإنسان إلى إنسان العدمية النافية فيقول نيتشه في قصيدته (نيتشه، 2014، ص283)

ونهى الحمار كأنه يحتج، فقال زارا" في ذلك الزمان

في السنة الأولى من التاريخ الجديد

هتفت آلهة الأقدمين

دون أن تكرع خمراً فقالت: الويل... الويل

لقد ساءت الحال

يا للانحطاط، إن العالم لم يسقط إلى مثل هذه الدركة قبل الآن ؟

فقد إستحالت روما إلى عاهرة

وتدنى قيصرها إلى مرتبة الحيوان

حتى أن الله نفسه إستحال يهوديا.

وهنا يرى أن الديانة المسيحية ماهي إلا إمتدادا للديانة اليهودية وهدفها

قلب القيم الارستقراطية الوثنية التي يعتبرها نيتشه قيما نبيلة في مقابل قيم

العبيد التي تدعو إلى الزهد.

ويرى أن هذا الانحطاط التاريخي كانت نتيجة سيطرة قيم سمّيت بالمثل

العليا وأصبحت مقاييس عامة منحها الإنسان شرعية الحكم على حياته

(قواسمي، 2012، ص60)، فيرى أن النماذج الثلاث البشرية " الإنسان الحكيم " " الإنسان السعيد " " الإنسان الطيب " ماهي إلا تجليات إنحطاط الجنس البشري أو إنسان العدمية النافية.

ففي التاريخ الإرتكاسي تم إقصاء الطبيعة بإثبات الوعي ثم إقصاء الوعي بإثبات الروح، ففي المرحلة الأولى تم إقصاء الطبيعة بإثبات الوعي عن طريق الفصل بين طبيعة الانسان من حيث هو كائن حي ومن حيث هو كائن عاقل، وبالتالي تم التقليل من الغرائز والخط من قيمتها، ومن أجل إعادة توازن فوضى الغرائز وضعوها تحت سلطة العقل، وهذا ما فعله سقراط والعقليون بالتخلي عن الغرائز وإستبدالها بطغيان العقل، وفي المرحلة الثانية تم إقصاء الوعي بإثبات الروح، حيث تم نفي السعادة الدنيوية لحساب السعادة الآخروية، وبالتالي تم فصل الإنسان عن الأرض كما تم فصله عن جسده في المرحلة الأولى، وقد ظهرت هذه المرحلة مع المسيحية التي إستبدلت العقل بالإله .

لذا نرى أنّ نيتشه يعتبر إنسان العدمية النافية هو نتاج النزعتين العقلية والدينية مما جعله مسلوب الإرادة مغتربا عن جسده وأرضه فأصبح التشاؤم وإنكار الحياة هو الطابع الغالب على تفكيرهم ونظرتهم للوجود (بدوي، 1975، ص98) فيعبّر عن ذلك نيتشه في قصيدته "الذين في العالم قد تعبوا" (نيتشه، 2009، ص98).

عصور أكثر تعقلا، عصور فكرها جلي

أكثر مما هو راهننا وأمسنا

محرومين من الغناء، سيئي التغذية

مستغرقين في تأمل سرورهم

أبطال القذارة

مناتين

هكذا ابتدعوا لأنفسهم متعة الآلهة

أيها القانطون

أنهم يفرطون في الكدر

أي أمان للمتقلبين

افضل من السجن ذاته

بأي نعاس هادئ

تنعم أرواح المجرمين السجناء

لا يعذب الوعي غير ذوي الضمائر الحية.

4. الإنسان المتفوق:

أو الإنسان الأخير أو إنسان العدمية الفاعلة، إختلفت التسميات نظرا لأسلوب نيتشه الشعري الذي يستعمل الاستعارات والخطابات الغامضة التي تشبه الخطاب الصوفي أكثر منها تحليلات فلسفية لذا هناك من لم يفصل بين الإنسان المتفوق والإنسان الأعلى خاصة في ترجمة فليكس فارس لكتاب نيتشه "هكذا تكلم زرادشت"، هذه الترجمة العربية التي اعتمد عليها الكثير من دارسي نيتشه باللغة العربية جعلتهم يخلطون بين نموذجين من نماذج الانسان عند نيتشه.

لذا يؤكد ياسبرز على ضرورة التمييز بين الإنسان المتفوق والانسان الأعلى عند نيتشه فالأول ظهر فعلا في التاريخ والثاني نموذج جديد للإنسان لم يصل إلى الوجود بعد (دولوز، 2011، ص216).

فالإنسان المتفوق عند نيتشه هو من طبيعة بشرية وغير متجاوز لها، كما يمتلك الكثير من الصفات الأخلاقية لأخلاق السادة لكن ينقصه عنصر الاثبات ويعبر نيتشه عن هذا النقص بطريقة رمزية، فيقول: "إن هناك أشياء لا يعرف الرجل المتفوق القيام بها كالضحك واللعب والرقص، فالضحك هو إثبات الحياة

وحتى الألم في الحياة بينما اللعب هو إثبات الصدفة وفي الصدفة ضرورتها الخاصة بها والرقص هو إثبات الصيرورة وفي الصيرورة الوجود، كما يتحدث نيتشه عن الظل كنشاط للإنسان لكنه بحاجة إلى الضوء ليظهر الظل فمن دونه يختفي كما عندما تأتي الظهيرة " (دولوز، 2011، ص211).

ومن هنا نرى أن الإنسان المتفوق يرتقي على الإنسان العادي أو إنسان العدمية النافية، لكنه ليس إنسان الاثبات فليست غايته في ذاته، وهذا ما عبر عنه نيتشه بالظل كنشاط إنساني، وأيضاً هذا راجع لانعدام التناسب في الإنسان المتفوق، وأنه مزيج من الأيديولوجيات الإنسانية و الإنسانية جداً، فالإنسان المتفوق هو نموذج الإنسان العدمي لكن عدمية فاعلة، الذي لم يقتنع بموت الإله في قراره نفسه فاستبدل القيم الإلهية بقيم إنسانية، لكنه مازال لم يصبح هو الغاية في ذاته (سوفرين، 1994، ص150).

لذا نجد في بعض الكتب يعبر عن الإنسان المتفوق بالإنسان الأخير، هذا الإنسان الذي رفض المبادئ المسيحية والتي عبر عنها نيتشه رمزيا بموت الإله كما أنكر العالم الآخر، لكنه يرى أن هذا العالم خال من القيمة والمعنى لذا يقول عنه نيتشه: " إنَّ هذا الإنسان الذي يرى أن العالم لا قيمة له بالأحرى أن يقول أنا لا قيمة لدي " (نيتشه، 2003، ص99)

فالإنسان المتفوق يمتلك إيديولوجيات متعددة ومختلفة فهو يتألف حسب التعبير الرمزي لنيتشه من العراف والمملكان وإنسان العلقه والساحر وآخر البابوات وأقبح العالمين والمتسول الطوعي والظل (دولوز، 2011، ص211) والعراف يقصد به ممثل العدمية الذي يريد أن يموت والمملكان يمثلان الناشط النوعي وأخلاقية التقاليد القديمة وليست الحديثة، وإنسان العلقه هو حاصل هذا النشاط بوصفها علما الذي يريد اليقين ويفضل عدم معرفة أي شيء على معرفة أشياء كثيرة معرفة نصفية والبابا الأخير يمثل محصلة الثقافة كدين

ويشبهه نيتشه بالخدام الذي فقد سيده فهو بدون سيّد ومع ذلك ليس حرّاً ولم يعرف السعادة بعد فقدانه لسيّده فهو الذي رأى الإله الشرقي الذي كان قاسياً في البداية فتحوّل مع الوقت إلى جدّه حنون متراخية (نيتشه، 2014، ص295-296) أما أقبح العالمين هو الشخص المطارد من الجميع لأنه يدعو إلى القسوة، أما المتسول الطوعي هو الذي يعرف كل النوع البشري باحثاً عن السعادة كمكافأة على النشاط البشري النوعي لكنه ظل طريقه (نيتشه، 2014، ص304). أما الساحر فهو المخادع الذي يجيد اللعب بقلب حقائق الأشياء فهو يمثل دور كفاءة العقل الذي يوهم زرادشت أنه يبحث عن الإنسان الأعلى بين البشر (نيتشه، 2014، ص290-291). أما الظل هو النشاط بالذات الذي يفقد هدفه ويبحث عن مبدئه (دولوز، 2011، ص213).

فنرى أن الإنسان المتفوق رغم أنه أعلى درجة من الإنسان إلا أن الاختلاف بينهما هو إختلافاً بالدرجة وليس بالطبيعة، فالإنسان المتفوق يمثل فوضى اللحظات الديالكتية بالذات وإنعدام إنضابها، فهو يجمع بين الكثير من المتناقضات، فهو يفشل في بلوغ هدفه بسبب طبيعته وليس بعدم كفاية وسائله لذا لا يمكن أن يكون هدفاً تسعى الإنسانية لبلوغه (دولوز، 2011، ص213). لذا يرى نيتشه أن الإنسان المتفوق هو أعلى درجات الإنسانية، لكنه ليس غايتها، فالغاية هو تجاوز الإنسانية إلى جنس أعلى ما سماه بالإنسان الأعلى.

5. الإنسان الأعلى:

إن لتطور الإنسان الأعلى أهمية كبيرة في الفلسفة النيتشوية، فهو محور فلسفته الأخلاقية والغاية من ميتافيزيقيا، ذلك أن مهمة نيتشه ليس في البحث عن ماهو الإنسان ؟ بل كيف يمكن تجاوز الإنسان ؟ (دولوز، 2011، ص116). فالإنسان الأعلى هو الذي يُعطي للفرد معنا لحياته فلا يبقى حدثاً دون مغزى، حيث يقول نيتشه: " كل الكائنات ظلت حتى الساعة تبعد أشياء فوق

منزلتها، وأنتم تريدون أن تكون حركة الجزر في هذا الدفق العظيم فتفضلوا العودة إلى منزلة الحيوان على مجاوزة الانسان. (نيتشه: ت: علي مصباح، 2007، ص 441).

لذا يعتبر الإنسان كونه جسراً لا هدفاً، وما يمكن أن يكون جدير بالحب في الإنسان هو كونه معبراً وصيرورة وإندثار، فنيته ينكر وجود الإنسان الأعلى في الوقت الحالي بل يدعو إلى التحضير لظهوره فيقول: " قد لا تستطيعون ذلك بأنفسكم، لكن بإمكانكم أن تجعلوا من أنفسكم آباء وأسلافاً للإنسان الأعلى و ليكن ذلك أفضل صنيع تصنعون " (نيتشه، 2007، ص 40)، لذا نجد نيتشه يُعظّم الحمل الذي يعتبره حالة مقدسة ويرى في الحمل هناك شيء ينمو أعظم منا، لذا يرى أن الزواج الصحيح هو الناتج عن الإنتقاء الصحيح التي تؤدي إلى إتحاد إرادتين تشتاқан للإنسان الأعلى، فلا يريدان طفلاً بإعتباره يمثل جيلاً آخر بل إعتباره متفوقاً عليهم (يسري، 2007، ص: 289).

أي هو نقل وجود الانسان الأعلى من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل، لذا يرى أيضاً أنه من أجل أن يحيا الانسان الأعلى يجب أولاً هدم القيم الأخلاقية السابقة وتمثلت في صرخته الشهيرة: " إن الله قد مات والآن نريد أن يحيا الإنسان الأعلى " (نيتشه، 2007، ص 530) ويقصد بموت الإله هو القضاء على جميع القيم اللاهوتية والأخلاقية السابقة والدخول في العدمية، ليستطيع الانسان الأعلى خلق قيم جديدة ما وراء الخير والشر.

لذا يرى نيتشه أن ظهور الإنسان الأعلى مرتبطاً بتحولات العقل الثلاثة فيقول: سأشرح لكم تحول العقل في مراحل الثلاث، فأنبئكم كيف إستحال العقل جملاً وكيف إستحال الجمل أسداً وكيف إستحال الأسد أخيراً فصار ولداً (نيتشه، 2007، ص 530).

فالجمل يدلُّ على تحمل العقل لقيم السائدة، فهو يريد تطبيق وصايا ثقيلة، وعبئها أثقل ويجد الجمل العظمة الخاصة به في الطاعة والخنوع خاضعا لمقوله: " يجب عليك " لكن في الصحراء ينقلب العقل من جمل إلى أسد. فالأسد يسعى إلى نيل حريته وبسط سيادته على صحرائه (نيتشه، 2007، ص54) ولا يمكن بسط سيادته إلا بالقضاء على التنين، والتنين تعبير رمزي يستعمله نيتشه للدلالة على القيم السائدة منذ ألف سنة، لكن بقضاء الأسد على كلمة "يجب عليك " لم يستطع أن يصل إلى المرحلة النهائية لأن حريته حرية سلبية إزاء شيء ما ولم تصبح بعد حرية لصالح شيء ما (صفاء عبد السلام، 2011، ص: 243). فالأسد بشراسته رفض القيم القديمة لكنه لم يخلق القيم الجديدة فيتحول الأسد إلى طفل والطفل حسب تعبير نيتشه طهر ونسيان لأنه تجديد ولعب وعجلة تدور على ذاتها وحركة البداية (نيتشه، 2014، ص: 55) فلعب الطفل عند نيتشه هو طبيعة الحرية الأصلية، الحرية الإيجابية التي تتجاوز العدمية والقدرة على خلق قيم جديدة ليظهر الإنسان الأعلى.

نرى أن نيتشه بعدما تحدث عن كيف وأسباب ظهور الإنسان الأعلى هذا الإنسان الذي تنبأ به ورأى أنه لم يظهر قط وسيظهر في المستقبل، هذا النموذج الذي يصوره يتشه هو أبعد من أن يكون حتمياً، فلا يظهر إلا نتيجة لتعاون مجموعة من المصادفات النادرة التي يجب أن تستغلها البشرية وترعاها.

فيقول نيتشه: " من هذا الذي سيأتي ولن يكون مجيئه عابراً؟ إنها صدفتنا العظيمة، مملكتنا الإنسانية العظيمة البعيدة " (نيتشه، 207، ص: 443).

وعندما يتحدث نيتشه عن الإنسان الأعلى لا يقصد به منزلة عليا أو منزلة راقية من الإنسان، بل منزلة فوق منزلة الإنسان، فالإنسان تطوّر وأصبحت له منزلة أعلى من الحيوان، والإنسان الأعلى له منزلة فوق منزلة الإنسان الحالي،

فيقصد نيتشه بالإنسان الأعلى ليس تفوقا داخل النوع البشري بل تجاوزا له، فالاختلاف بينهما هو إختلاف بالطبيعة وليس بالدرجة.

فالإنسان الأعلى عند نيتشه هو صيرورة وتطوّر دائم، يتجلى في صورة تزايد على الدوام قواها الذاتية وتسمو في تغيّراتها دون أن يكون لهذا التزايد نهاية، ولا لهذا السمو والعلاء حدا، فالإنسان الأعلى هو خالقا لقيمه ومبدعها؛ ذلك ما يكسبه صفة الخلق والإبداع، أي أن يكون الإنسان بصفة إلهية حيث يقول: " لكن ولكي أبوح لكم بكل ما في قلبي أيها الأصدقاء، لو كانت هناك آلهة فكيف يمكنني أن أصبر على ألا أكون إلهًا" (نيتشه، 2007، ص 166)، لكن الإنسان الأعلى ليس مفارقا للأرض والجسد بل هو ملازمًا لها، فالإنسان الأعلى معنى لهذه الأرض وروحًا لها فمن الأرض اشتقت قيمه الحيوية الأصلية، كما أن الإنسان الأعلى لا يزدري الجسد بل يقدّسه فالجسد هو مصدر الإبداع والإرادة والقيم والحرية حيث يقول نيتشه: " يا أخي، يكمن سيد أعظم منهما سلطانا: لأنه الحكيم المجهول، وهذا الحكيم إنما هو الذات بعينها المستقرة في جسدك وهي جسدكم بعينه أيضا " (شتاينر، 199، ص 70).

فالجسد عند نيتشه ليس منبعًا للشهوة أو الخطأ وليس سجنًا للنفس، بل الإنسان لا ينصت إلا لصوت الجسد الذي هو أكثر الأصوات صدقا وصفاء، فهو الغرائز اللاشعورية والحيوية التي لا تخطأ أبدًا، فالإنسان الأعلى غير منفصل عن الأرض وعن الجسد وهو الغاية في حدّ ذاته ولا توجد غاية خارجة عنه فتكون الأنانية المفرطة والفردانية سمة أساسية للإنسان الأعلى، فيكون هو ذاته ولا يترك ذاته إلا لذاته، ويتبع نفسه وحدها واضعا إياها فوق الفضيلة وفوق المعرفة والحكمة، فهو نفسه الغاية والمبتغى، لذا فالإنسان الأعلى ليس إنسانا أخلاقيا بل هو إنسان فيما وراء مفاهيم الخير والشر، متجاوزا بذلك القيم القديمة ليخلق قيما جديدة مبنية على إرادة القوة والسيطرة، له صفات العلاء على الذات الطائع

لذاته، العقل الحر، صورة من الفرد الذاتي الأناني الذي لا يخضع لأي أخلاق إلا التي تخدم ذاته، فتقييمه الأخلاقي مبني على إرادة القوة.

فالإنسان الأعلى هو الفردية الجميلة المتألقة التي غدت الأنا فيها أنا كونية وما يجعله إنساناً أعلى ليس شدة الإحساس فقط بل دوامه (غرانبيه، 2008، ص 135).

فالأخلاق عند الإنسان الأعلى تتشابه مع أخلاق السادة لكنها ليست نفسها كإختلاف شجاعة الانسان وشجاعة الأسد، لأن الإنسان الأعلى نوع متجاوز للإنسان فالقيم الأخلاقية هو الذي يضعها لذاته ليس من أجل الحياة بل من أجل القوة، لذا فالإنسانية ماهي إلا وسيلة للتجربة ومعبراً للإنسان الأعلى الذي هو نتاج فكري مجرد ومستمر (Denat 2013, P 252) وليصل إلى الإكتمال لا بد له من الجرأة ساعياً إلى ركوب المخاطر متفادياً السلام والهدوء والرتابة، فالإنسان الأعلى عند نيتشه تغلب على الموت وهزمه كظاهرة تنفي وجوده، ويفسّر نيتشه هذا بفكرة العودة الأبدية الذي يقصد بها أن الإنسان يعيش حياته مرات لا متناهية، في مقابل الحياة الآخروية في الفكر الديني، فمع العودة الأبدية يثبت الانسان الأعلى الوجود بكل أشكاله وفي كل إمكاناته (Biaggi, 1999, P 81).

لذا فهو يخاطر من أجل قطف أفضل ثمرات الوجود التي ستتكرّر معه إلى ما لانهاية فوعيه بالزمان لن يكون عاملاً للتأسف ولا للندم بل محدداً للخلود الأبدي، لذا فتكرار الحياة يجعلنا نسعى للحياة الأفضل ويجعل الإنسان الأعلى حسب نيتشه مرحاً، فالمرح صفة أساسية فيه لأنه يريد عندما يعود ثانية أن يعود مرحاً، فهو لا يخاف من الموت ولا يهابه بما أنه لا يؤمن به، كما أنه إنتصر على طبيعته الحيوانية، ونظم فوضى انفعالاته وسما بدوافعه إلى درجة الكمال فإنه " الروح الحرّة التي تخلصت نهائياً من الشعور بالذنب والخطيئة والتي كانت ملازمة لأسلافه (صفاء عبد السلام، 2011، ص: 246).

فالمرح ناتج عن تغلب الإنسان الأعلى على ذاته، هذا الإنسان الذي تنبأ به نيتشه هو حالة نفسية وجسدية وأخلاقية لم تعرفها الإنسانية من قبل.

قد حاول نيتشه تحديد بعض معالم ومميزات الإنسان الأعلى لكنه لم يضبطها بالكامل فرغم إلغاءه للثنائيات القديمة من جسد و روح، عالم أرضي وعالم آخر مفارق له، كما أنه ألغى القيم الأخلاقية اللاهوتية والعقلية القديمة واعتبر قيم الإنسان الأعلى فوق هذه القيم وفوق الخير والشر بما أن الإنسان الأعلى واضح لهذه القيم، فليست له إرادة للحياة بما أنها حق، بل إرادة للقوة من أجل السيطرة على ذاته وتجاوزها فيقول: " إنَّ أنضح ثمرة من ثمار الشجرة هي الفرد المتميز، الفرد الذي لا يشبه إلا ذاته، الفرد المتحرر من أخلاقيات العادات والتقاليد، الفرد المستقل والسوبر الأخلاقي، الإنسان الذي يستطيع أن يقطع عهدا وذلك الذي يمتلك في ذاته وعيا حقيقياً بالحرية والقدرة وشعورا في النهاية بانه وصل إلى إكمال الإنسان فيه (نيتشه، 1981، ص 55)

6. الخاتمة:

إن أسلوب نيتشه الغامض والشعري واستخدام الاستعارات كثيرا يجعل هناك إختلاف في تقسيم الإنسان عند نيتشه، فنجد مثال عدم التفريق بين الإنسان المتفوق والإنسان الأعلى في ترجمة فليكس فارس لكتاب نيتشه "هكذا تكلم زرادشت"، و نجد الدكتور هجران عبد الإله صالح في كتابه " الإنسان والاعترا ب في فلسفة نيتشه " يصنف الإنسان عند نيتشه حسب معادلات بسيطة إلى :

1/- الإنسان = الإله + إرادة قوة سلبية + قوة إرتكاسية (الصالح، 2015، ص209)

2/- الإنسان الأعلى=موت الإله + إرادة قوة إثباتية + قوة فاعلة (الصالح، 2015، ص212)

3/- الإنسان الأخير=موت الإله + إرادة قوة سلبية + قوة إرتكاسية (الصالح، 2015، ص215)

4/- الإنسان المتفوق=موت الإله + إرادة قوة سلبية + قوة فاعلة (الصالح، 2015، ص218)

نجد أن هذا التقسيم الذي اعتمد عليه متأثراً بفكر هيربر سوفرين يعتمد على ثلاث معايير: المعيار الديني معيار إرادة القوة و معيار القوة، فاصلاً في ذلك بين إرادة القوة والقوة مهملاً العامل التاريخي فكيف يمكن تصنيف إنسان ما قبل سقراط في هذا التصنيف فلو كان إنساناً، فقبل سقراط لم تظهر الديانة المسيحية، وإذا كان الإنسان المتفوق فسيكون رد فعل على الفكر اللاهوتي، والإنسان ما قبل سقراط حسب نيتشه هو إنسان قبل العقل واللاهوت لذا اعتقد أن تاريخياً هناك الإنسان ما قبل سقراط، ثم إنسان العدمية النافية، ثم الإنسان المتفوق الذي هو نموذج منفرد ظهر في عدة مراحل تطوّر البشرية كإستثناءات لأنّ نيتشه ينظر إلى تطوّر البشرية كحالات فردية وإستثنائية فهي تمس الأفراد ولا تمسّ النوع بصفة عامة، وأن التطور البشري إنما ينبعث من نبض الإرادة الشخصية الإنسانية المتفردة، وأن ثمة حرباً دائمة بين أشكال التعبير عن الإرادة الفردية بكل تجلياتها، وما لا شك فيه أنّ إرادة الأقوياء هي التي سوف تنتصر في النهاية (رودولف، 1998، ص 100).

لذا فالانتقال من نوع إلى آخر أو من نموذج إنساني إلى آخر ليس سياقاً بيولوجياً تتحكم فيه الطبيعة وليس دياكتيك للتاريخ، إنما هو منهج تربوي يطبق على إرادة القوة (غرانبيه، 2008، ص 219) لذا وضع نيتشه فلسفته لمحاربة الانتكاسة التي تعرضت لها البشرية مع النزعة العقلية واللاهوتية، لكنه رغم رفضه للقيم الميتافيزيقية المسيحية نجده وضع قيماً أخرى متمثلة في العود الأبدي، هذه الفكرة الأنطولوجية للكون التي يتبناها نيتشه والتي جعلها أساساً

خمري رضا

للحياة لم يبرهنها بل وضعها كقيمة في مقابل الجنة والنار، وحتى في مقابل الإله
من أجل تبرير سلوك الإنسان الأعلى والقيم التي يضعها.

قائمة المصادر والمراجع:

- نيتشه فريدريك (2014)، هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع ولغير أحد، ت: فليكس فارس، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، مصر.
- نيتشه فريدريك (2007)، هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع ولغير أحد ت: علي مصباح، منشورات الجمل، العراق- ألمانيا.
- نيتشه فريدريك (1981)، أصل الأخلاق وفصلها، ت: حسن قبيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان.
- نيتشه فريدريك (1996)، أفول الأصنام ، ت: بورقية حسان و الناجي محمد ، إفريقيا الشرق ، المغرب.
- نيتشه فريدريك(2006)، هذا هو الإنسان ت: علي مصباح، منشورات الجمل، العراق- ألمانيا.
- نيتشه فريدريك (2003)، ما وراء الخير والشر: تبشير لفلسفة المستقبل ، ت: جيزيل فالور حجار، دار الفارابي، لبنان.
- نيتشه فريدريك (2009)، ديوان نيتشه، ت: محمد بن صالح، منشورات الجمل، لبنان.
- الشيخ محمد (2008)، نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان.
- بدوي عبد الرحمن (1975)، نيتشه، وكالة المطبوعات ، الكويت.
- دولوز جيل (2011)، نيتشه والفلسفة، ت: أسامة الحاج، مجد الدراسات، لبنان.

- سوفرين بيير هير (1994)، زرادشت نيتشه، ت: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان.
- شتاينر رودولف (1998)، نيتشه مكافحا ضد عصره، ت: حسن صقر، دار الحصاد، سوريا.
- صفاء عبد السلام علي جعفر (2011)، محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه، دارالمعرفة الجامعية، مصر.
- عنيات عبد الكريم (2010)، نيتشه والإغريق: إشكالية أصل الفلسفة، الدار العربية للعلوم، الجزائر- لبنان.
- غرانييه جان (2008)، نيتشه، ت: بوملحم علي، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر، لبنان.
- قواسمي مراد (2012)، في معنى التاريخ عند نيتشه ، السؤال الأصل و مشروع التأويل، ابن النديم -دار الروافد،الجزائر-لبنان
- هجران عبد الإله الصالحي (2015)، الإنسان والاعتراب في فلسفة نيتشه، دار الفرقد، سوريا.
- يسري إبراهيم (2007)، فريدريش نيتشه: فلسفة الأخلاق، دار التنوير، لبنان.
- يسري إبراهيم (1990)، نيتشه عدو المسيح، سينا للنشر، مصر.
- Biaggi Vladimir (1999), Nietzsche, Armand Colin, France.
- Céline Denat et Patrick Wolting (2013), Dictionnaire Nietzsche, Ellipses, France